الإسلام و التّأويل

المناقشات التّأصيليّة، الإشكالاتُ والإمكانات

المجلّد الرّابع

جامعة إينونو- كلّيّة الإلهيّات
ملاطيا ٢٠١٧

Malatya İlâhiyat Vakfı İlmî Araştırmalar Serisi No: 1

Yayına Hazırlayan
Prof. Dr. Fikret KARAMAN

Editörler:
Yard. Doç. Dr. Khalil AYOUB
Okutman Ebubekir MATBAN
Arş. Grv. Ömer TOZAL
Arş. Grv. Zekeriya DOĞRUSÖZLÜ

Bu eserde yer alan "Kitaptan Bölüm" şeklindeki metinlerin sorumluluğu, yazarlarına aittir.

فهرس المحتويات

تقديم ٤

منهجية التأويل بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد

ا.د. سهيلة مازة ٧

قراءة تأويلية لمفاهيم المحادثة من خلال النص القرآني

أ.د. خميس فزاع عمير ٤٥

قانون التأويل عند حجة الإسلام الغزالي

د. حباسي خالد ٦٩

التأويل المقصدي ومسالك تجديد المنظومة الأصولية

د.عبد الغني قزيبر ٨٧

التأويل في النُّصوص الدِّينيَّة المقدَّسة وأسس القبول أو الرد – دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحيَّة-

د. محمـــــد بودبـــــان ١١١

قراءة في المنجز التأويلي عند علماء الإسلام الأوائل

د. سعيد تومي ١٢٧

التأويل بين ثنائية القصد وتعدد القراءات

د. زهراء البرقعاوي ١٤١

ثنائية الظاهر والباطن في تأويلات الإسماعيلية (إخوان الصفا أنموذجا) ١٥٩

د/ الزهرة لحلح ١٥٩

ازمة "فهم" النص القرآني في الدراسات الاستشراقية...الاستشراق الإسرائيلي انموذجا

د.أحمد البهنسي ١٧٤

تقديم

إنّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستهديه، ونستغفرُه، ونصلّي على نبيّنا الدّاعي إلى الهدى والرّشاد، وعلى آلِه وأصحابِه الكرامِ الأطهارِ، وبعدُ:

فهذا كتابٌ حوى بين دفَّتيه جملةً من الدّراساتِ الّتي دارتْ حول موضوعِ التّأويل، تعدّدتْ فيها الآراءُ والفِكَرُ، وتشعّبَتْ فيها طرائقُ البحثِ والنّظرِ، وقامَتْ على الاستقراءِ والنّقدِ والتّقويمِ، وشَمَلَتْ أزمانًا متباعدةً، فمنها ما يمَّم وجهَه شَطْرَ الماضي البعيدِ، يعاينُ التّأويلَ وآلياتِه وضوابطَه وآراءَ القُدامى واختلافاتِهم في شأنِه، ومنها ما عَكَفَ على الزَّمان الحاضرِ يستجلي مشهدَه التّأويليَّ، ويتتبَّعُ معالَمه والصراعاتِ المحتدمةَ حول آلياتِه وتطبيقاتِه، ومنها ما نهجَ مِنْهاجَ المقارنةِ بين الإسلامِ وغيرِه منَ الأديانِ، أو تولّى رَصْدَ نظرةِ الآخرِ وإشكالاتِ فهمِه للقرآنِ الكريمِ.

وأولى هذه الدراساتِ جاءتْ تحتَ عنوانِ: (**منهجيّة التّأويل بين ضوابط الفهم السّديد ومتطلّبات التّجديد**) للباحثة **سهيلة مازة.** تكلّم فيها على أصول نظرية التّأويل عند المسلمين، والقراءاتِ الحديثة في تأويل القرآن، والمناهجِ المعاصرةِ في تفسيره، وبيّنَ أنّ التأويل يقوم على منهجيَّةٍ وأدواتٍ دقيقةً في فهم البنياتِ النّصّيّة، أو ما يتعلق بها من مرجعياتٍ علميّةٍ وموادَّ سياقيّةٍ، وأنّه من غير الصّواب أن ننساق إلى دعاة التّأويل غيرِ المنضبطِ ونذهبَ بعيدًا إلى التّرويج لفلسفة التّأويل.

وتلا هذه الدّراسةَ دراسةٌ للباحث **خميس فزاع عمير** بعنوان: (**قراءة تأويلية لمفاهيم المحادثة من خلال النّص القرآنيّ**)، تصدَّى فيها لتلمّس الدِّلالة القرآنيّة للفظة (المحادثة) بأبعادها العرفيّة العامّة، وأبعادها الذّوقية الذّاتيّة، وما يفرزُه السّياقُ من فائضٍ في المعنى، أو جماليّةٍ في دِلالة هذه اللّفظةِ، وكان منطلقُه المنهجيُّ يقوم على تشييد البناء التّحليليّ للاستعمال القرآنيّ من خلال استقراء ألفاظ (المحادثة)، ومن ثَمَّ ولوج الاستعمال القرآنيّ للتّعرّف على قرآنية الدّلالة لهذه اللّفظة، وما اكتسبته في التعبير القرآنيّ من تفرّدٍ وامتياز.

وجاءت الدّراسة الثّالثةُ موسومةً بعنوان: (**قانون التّأويل عند حجّة الإسلام الغزالي**) للباحث **حباسي خالد**، بَيَّنَ فيها أنّ أهم إسهاماتِ الغزاليّ في ميدان الدّفاع عن الحقائق الإسلاميَّةِ

هو إعادة الاعتبار للعقل، وأنَّ قانون التّأويل عند الغزاليّ كان شاملًا محيطًا بالمعضلاتِ الّتي عَلِقَتْ بقضية التّأويل في عصره.

وفي الدّراسة الرّابعة الّتي عنون لها صاحبُها **عبد الغني قزيبر** بعنوان: (**التّأويل المقصدي، ومسالك تجديد المنظومة الأصوليّة**) تكلّم فيها على التّوازن المطلوب في تحصيل مرادِ المتكلِّم، وبيانِ المسالكِ المفضيةِ إليه، كاشفًا عن ضرورةِ التّكامل بيْنَ الدّرس اللغويّ، والأنظارِ المقاصديَّةِ، وضرورةِ تجديدِ الآليّاتِ التّأويليَّةِ بحسب الإمكانات الواسعة التي وفَّرها الدّرسُ المقصديُّ في مقاربة النّص الدّينيّ.

وجاءتِ الدّراسةُ الخامسةُ من الكتاب معنونةً بعنوان: (**التّأويل في النُّصوص الدِّينيَّة المقدَّسة وأسس القبول أو الرّدّ، دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحيَّة**) للباحث **محمد بودبان**، بيَّنَ فيها المرادَ من التّأويل في كلٍّ من الإسلام والمسيحيَّة وفْقَ ما تتيحُهُ المعطياتُ الواردةُ في معارف كلٍّ منهما؛ ثم تكلّم على ما يُقبَل منها، وما يُردُّ في مسار تأويل النَّص المقدَّس عند كليهما.

وفي الدّراسة السّادسة الّتي جاءت تحتَ عنوان: (**قراءة في المنجز التّأويليّ عند علماء الإسلام الأوائل**) للباحث **سعيد تومي**، رصدَ فيها المنجزاتِ التّأويليّةَ لبعض المفكّرين والفلاسفة العربِ الّذين كانت لهم بصماتٌ واضحةٌ في التّأسيس لعلم التّأويل وفْقَ أطرٍ معرفيّة وفلسفيّة واضحةٍ، وهؤلاء هم: الطّبريُّ والزّمخشريُّ، وأبو حامد الغزاليُّ، وابنُ رشدٍ.

وفي الدّراسةِ السّابعةِ للباحثة **زهراء البرقعاوي** المعنونة بعنوان: (**التّأويل بين ثنائية القصد وتعدّد القراءات**) تناولت فيها أوّلًا التّأويلَ ومقاصدَ النّص، ثم دلفتْ إلى الكلام على التّأويل وتعدّد القراءاتِ، وبيّنَتْ أنّ تعدّد القراءاتِ له تفسيران :أحدهما مقبول والآخر مرفوض، أما التّفسير المرفوضُ، فهو الذي يفترض أنّ النّصّ الدّينيَّ يختزن في داخله جملةَ معانٍ متضادةٍ، وأنّ كلَّ قراءاته صحيحةٌ ومصيبةٌ، ولا يمكن الحكم ببطلان أيٍّ منها. أما التفسير المقبول، فمبنيٌّ على أساس أنّ تعدد القراءاتِ للنّصّ القرآنيّ يمثّل أمرًا ضروريًا؛ لأنّه يُعَدُّ ملمحًا من ملامح التّفرّد العلميّ والتميّز المعرفي.

وفي الدّراسة الثّامنة للباحثة **الزّهراء لحلح** الّتي جاءت تحتَ وسم: (**ثنائيّة الظّاهر والباطن في تأويلات الإسماعيليّة (إخوان الصّفا أنموذجًا**) عرّفَتْ فيها بجماعة إخوان الصفا، ثم تكلّمَتْ على مفهوم الظّاهر والباطن عندهم، وأتبَعَتْ ذلك حديثًا مفصّلًا عن أبعاد التّأويل وصورِه عندهم.

وفي الدّراسة التّاسعةِ والأخيرةِ الموسومةِ بوسمِ: (**أزمة "فهم" النّص القرآنيّ في الدّراسات الاستشراقيّة، الاستشراق الإسرائيليُّ أنموذجًا**) للباحث **أحمد البهنسي**، طبّق فيها

نظرية "الفهم" على عددٍ من النّماذج المختارة من الكتابات الاستشراقية الإسرائيليَّة حولَ القرآن الكريم، فبيّنَ أسبابَ أزمة فهمِ القرآن الكريم في هذه الكتابات ومظاهرَ هذه الأزمةِ، وقدَّم رؤيةً نقديَّةً علميّةً لها، ووطّأ لكلِّ ذلك بتوطئةٍ عرَّفَ فيها بنظرية الفهم، وموقف الدّراسات الاستشراقيّة منها في موضوع القرآن الكريم.

وختامًا فإنّا نشكرُ الباحثين الكرامَ على ما قدّموه لمؤتمر الإسلام التأويل من بحوثٍ قيمةٍ وأفكارٍ مستنيرةٍ راجين من الله أن يكون ما دوّنوه وسطّروه في هذا الكتاب لَبِنَةً نتّكِئُ عليها في بناء فكرٍ إسلاميٍّ معاصرٍ يستجيب لتحدّيات الواقع وإشكالاته المعقّدة من غير أن يَنْبَتَّ هذا الفكرُ عن ماضيه الفَذِّ العريقِ، لأنّ هذا الماضيَ هو أصلُ البنيان الإسلاميِّ وقاعدتُه الّتي يجب أن نبنيَ عليها كلَّ جديدٍ يقتضيه واقعُنا المعاصرُ.

قراءة تأويلية لمفاهيم المحادثة من خلال النص القرآني

أ .د. خميس فزاع عمير

جامعة الانبار- Irak /d_ka60@yahoo.com

المقدمـة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله إنساناً، نبينا محمد ρ نبي البيان، وحامل الوحي، وأمين الرسالة، وصفوة البشر، وعلى آله واصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم نلقاه ويلقانا.

وبعد فان الله سبحانه وتعالى لم ينظم كلماته في كتابه العزيز اعتباطا انما نظمها كما ينظم الناظم اللؤلؤ المنثور. فالله تعالى قد نظم الكلمات احسن النظم من خلال تناسق الكلمة مع ما قبلها وما بعدها وتناسقها في سمات الآية، أو السورة ، ولما كان القرآن الكريم يستعمل اللغة استعمالا جماليا فنيا ، ولما كانت الألفاظ سُدى التعبير ونسيجه ولونه ؛ تعامل معها القرآن الكريم تعامل المستهلك المنتج فاستهلك طاقاتها الدلالية كلها بأن نجم عن خبايا فيوضاتها الفنية ، فانتهى إلى مدارج كمالها الدلالي ؛ فجاءت ألفاظه مشدودة دوما إلى حفز دلالي يتناسل ، ولا جرم أن القراءة المتأنية الهادئة للتراث التفسيري للقرآن الكريم، ومعانية مسؤولة واعية لبعض الممارسات التأويلية المعاصرة ،و لا ريب أن القراءة المنفتحة هي السبيل التي تفضي إلى إثراء النص وتوسيع نطاقه الدلالي؛ بيان ذلك أن لفظ الانفتاح لا يعني الانفلات من أسر اللغة، وعبثية القراءة ، وإنما التسلح بالوعي التأويلي باعتباره إطاراً مرجعياً للقراءة الدلالية السليمة فجاءت لذلك ((((قراءة تأويلية لألفاظ المحادثة من خلال النص القرآني)) محاولة لتلمس الدلالة القرآنية بأبعادها العرفية العامة ، وأبعادها الذوقية الذاتية ، وما يفرزه السياق من فائض في المعنى ، أو جمالية في دلالة هذه اللفظة ، والمنطلق المنهجي في هذه الدراسة هو تشييد البناء التحليلي للاستعمال القرآني من خلال استقراء الألفاظ (المحادثة)، ومن ثم ولوج الاستعمال القرآني للتعرف على قرآنية الدلالة لهذه اللفظة ،وما وهبت من تفرد وامتياز دلالي ،من خلال التعبير القرآني ، مفردة ومركبة في السياق القرآني ، مستعينا بالله اولاً ، وبكتابه الكريم ، وبكتب اللغة ، وطروحات علم اللغة الحديث ولا سيما علم الدلالة .

محاور البحث:

المبحث الأول: قراءة نظرية في مصطلحات المحادثة

المطلب الأول: الحديث

المطلب الثاني: الحوار

المطلب الثالث: الخطاب

المطلب الرابع: القول

المطلب الخامس:الكلام

المطلب السادس: اللسان

المطلب السابع: اللفظ

المطلب الثامن: النطق

المبحث الثاني :ملامح تطبيقة في النص القراني

المطلب الاول :كلام الله لموسى (عليه السلام)

المطلب الثاني :نداء الله لموسى عليه السلام

المطلب الثالث :كلام السيد المسيح عليه السلام في المهد

المطلب الرابع :كلام الدابة

المطلب الخامس :قول النملة

المطلب السادس: منطق الطير

وأخيراً فإنّ كلام الله مأدُبَة لا يشبع منها الدارسون مهما تناولوا فيها، وأطالوا الجلوس حولها، بل كلما تناولوا واقتطفوا من ثمارها تفتّحَت شهيتهم للاستزادة من معينها ولا عجب في ذلك فإنه **(...لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)**.

المبحث الاول

قراءة نظرية في مفاهيم المحادثة

المطلب الاول :الحديث

ما يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه(١)، فيحدث به ، أو هو ما يخبر به الإنسان عن نفسه من دون تقدم معرفة به ، ويجوز ان يكون الحديث خبرا بين اثنين فاكثر (٢) .

استعمل في القرآن الكريم (٣٦مرة)(٣) كانت تتضمن الإشارة إلى الحوار والقرب والود، ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) (٤). فان السياق يشحن هذا اللفظ بالدلالة على ان ما دار شيء مخصوص من الكلام يُشحن بالمشاعر والأحاسيس . وفي هذا الاستعمال ما يحيل إلى أنَّ المحادث قريب مختار ، فيكون الود والجمال والتلذذ .

وتبقى إشارة (الحديث) إلى الانتشار والتفشي يقول تعالى : (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)(٥). فيستفاد من هذا السياق تضمن (الأحاديث) للعبرة ، ولا تستبعد إشارتها إلى الازدراء والاستخفاف ، وربما الضحك منهم ، وكأنه يشير بهذا إلى اشتراك غير واحد في التحدث به ، وكأنه أيضا يصير مما يروى على أمد بعيد ، فيتحول إرثا يتناقله القوم .

و القرآن الكريم حديث ، بل أحسن الحديث يقول تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(٦) فقد اختير التعبير عن القرآن الكريم بالحديث في هذا السياق لأن هذا اللفظ يتناسب بوجيه الدلالي مع إرادة التأثير النفسي التي يتكلم عليها السياق القرآني هنا .

وان في (الحديث) في الاستعمال القرآني ما يوحي بالصلاح والخير ، كما في قوله تعالى : **(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث)** (٧) فان هذا الحديث سيكون مؤداه الحث إلى الله تعالى وشكره ،

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٣٧/٢ .
(٢) ينظر. الفروق اللغوية ٢٨ ــ ٢٩ .
(٣) ينظر. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ١٩٤ ــ ١٩٥ .
(٤) التحريم / ٣ .
(٥) سبأ / ١٩ ، وينظر. المؤمنون /٤٤ .
(٦) الزمر / ٢٣ ، وينظر . الجاثية / ٦ ، الطور /٣٤ ، النجم / ٥٩ ، الواقعة /٨١ ، القلم /٤٤ ، المرسلات /٥٠ .
(٧) الضحى /١١ .

ومن ثم جلب الخير والنماء .و المعنى الإضافي لهذا الاستعمال هو ان تحدث حديثا جميلا يحث على الاعتبار والشكر وحسن الاقتداء .

والحديث يشترط وجود شخصين ، شخص يلقي، وشخص يتلقى من خلال توجه حاسة السمع فهو مرادف للكلام، وقد يكون السبب في ذلك هو: ان الحديث والكلام يخرجان من الفم، ويدلان على قول مفيد. الا ان هناك فرقا بين اللفظتين كما يتبين وهو: ان الحديث يكون في الكلمات الكثيرة المترابطة. اما الكلام فقد يكون بالحرف، او الاسم، او الفعل. وقد يكون في لفظة او لفظتين.

وتجمع لفظة حديث على احاديث، والاحاديث : تطلق على ما تتحدث به النفس في منامها من الرؤيا او الحلم (٨). كما في قوله تعالى: **[وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ]** (٩) ،فتأويل الاحاديث معناه: تفسير حديث النفس ، فالنفس تتحدث من خلال الرؤيا، او الحلم، والذي دلنا على ذلك سياق الآية الكريمة ، فالحديث بهذا يكون نفسيا أي يتحدث الشخص مع ذاته.

يتبين ان الحديث على نوعين :

1- حديث بين شخص واخر

2- حديث الشخص مع ذاته.

المطلب الثاني : الحوار

حاور يحاور حوارا ومحاورة وحويرا: أي راجعه الكلام، ويراد به: كلام شخص مع شخص آخر (١٠) ،والمحاورة : المجادلة [١١]ومنها قوله تعالى في سياق المجادلة : **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**[١٢].وقد وردت بدلالة المحاورة كما في قوله تعالى: **[فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً] (١٣)** وقوله تعالى: **[قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً] (١٤).**

٨) ينظر: مفردات الراغب ٢٢٢، وما بعدها، والجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ٣١٠/٣، ومعجم الالفاظ والاعلام القرآنية (حدث) ١١٧، ومعجم الفاظ القرآن الكريم(حدث) ٢٥٣/١.

٩)يوسف : ١٠١.

١٠) ينظر:جمهرة اللغة(حور) ١٤٦/٢، والمحيط في اللغة(حور) ٤٠١/٣، والصحاح (حور) ٦٤٠/٢، ومفردات الراغب ٢٦٢ والبيان في تفسير القرآن٤٣/٧والمنتخب في تفسير القرآن الكريم٨١٣/٢، والميزان في تفسير القرآن٣٣٢/١٣،ومن اللغة١٩٣/٢، ١٩٠،ومعجم الفاظ القرآن الكريم (حور)٢٢٠.

(١١) ينظر.مختار الصحاح (حور) ١٦١ .

(١٢) المجادلة /١ .

١٣) الكهف : ٣٤.

١٤) الكهف: ٣٧.

فمعنى المحاورة في الآيات الكريمات: الكلام [١٥].

ويشترط في المحاورة عناصر:-

1- الملقي : (المتكلم)

2- المتلقي: (السامع)

3- المراجعة: (الحوار)

4- توجه حاسة السمع.

ويستفاد من (يحاوره) على لسان من ظلم نفسه[١٦] دلالة ثانية هي الغرور ورفع الصوت والفخر، فضلا عن طول الكلام واشراك عناصر المكان فيه من خلال الإشارة إلى ما يعجبه منها ، فكأنه ((أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه)) [١٧].

فالملقي الذي يوجه كلامه الى المتلقي. والمتلقي بدوره يسمع ما القي اليه ويناقش ما سمع. فالمحاورة تكون بين شخصين او اكثر(١٨) ، والفلاسفة يجعلون للحوار هدفا هو: (توليد الافكار الجديدة في ذهن المتكلم، لا الاقتصار على عرض الافكار القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني واغناء للمفاهيم، يفضيان الى تقدم الفكر) (١٩).

وتدل اللفظة على العيون الواسعة ذات البياض النقي والسواد البارز(٢٠) كما في قوله تعالى : **[مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ]**(٢١).

وترد بمعنى الرجوع[٢٢] كما في قوله تعالى: [إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ *بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً] [٢٣].

١٥) ينظر: جامع البيان١٥/٢٤٧، والكشاف٢/٤٨٤، ومجمع البيان٦/٤٧١،ومعجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ٤٣.
(١٦) ينظر. الكهف/٣٥ .
(١٧) الكشاف ٢/٤٨٤ .
١٨) ينظر: غريب القرآن للسجستاني ٢٢٨، ومجمع البحرين ٣/٢٧٩، والمعجم الفلسفي د. جميل صليبا ١/٥٠١.
١٩) المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ١/٥٠١.
٢٠) ينظر: الجوهر الثمين ٦/٩٤.
٢١)الطور:٢٠.
٢٢) ينظر: تفسير نور الثقلين ٥/٥٣٨، والميزان في تفسير القرآن ٢/٣٠٧.
٢٣)الانشقاق : ١٤-١٥.

المطلب الثالث: الخطاب

يقال : خطب الرجل يخطب خطابا (٢٤)، أي وجه الكلام الى شخص، او مجموعة اشخاص (٢٥). نحو قوله تعالى:- **[إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ]** (٢٦) ،فالخطاب في الآية الكريمة يعني الكلام (٢٧). هذا الكلام جرى بين اثنين شخص يلقي، وشخص يتلقى والخطاب من الناحية الفقهية يعني: الكلام الموجه الى الناس المتضمن امورا شرعية (٢٨)، والمخاطبة ، والخطاب ما يوجه من كلام على نحو من المراجعة (٢٩).

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بدلالات متنوعة (٣٠) وفصل الخطاب يعني : (تلخيص الكلام بحيث يشتبه على السامع ما اريد به) (٣١).فمعنى العبارة اختصار الكلام اختصاراً يشوش ذهن السامع و المقصود به، منها قوله تعالى : **(وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ + وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)** (٣٢). ويشير السياق في قوله (لا تخاطبني) بدلالة فعل الخطاب على التكرار والإلحاح رغبة في العفو عن قومه ، وفيه إشارة إلى تشفعه (٣٣) لهم ، ويحتوي لفظ (الخطاب) الرمز إلى البيان العالي ، وذلك في قوله تعالى: **(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ)** (٣٤). ويحتوي أيضا في هذا السياق الرمز إلى التأثير ، وعلى تضمن الخطاب مظاهر الحكمة والدعوة إلى الله تعالى ، وقد يكون الفصل بمعنى الفاصل. أي المفرق بين الحق والباطل، والحاكم بالعدل والانصاف . وقد يراد به بدء الكلام بعبارة: (اما بعد) وقد يكون بمعنى المفصول من الخطاب الذي يوصيه من يتكلم به (٣٥)، اي اتيناه سرعة فهم المقصود من الكلام والحكم بكلامه بين الاشياء بالحق والعدل. وعدم ظلم احد لما يمتلكه من حكمة في الامور.

---

٢٤) ينظر: مقاييس اللغة(خطب) ١٩٨/٢، ومعجم الفاظ القرآن الكريم(خطب) ٣٥٦/١.
٢٥)ينظر: كتاب الحروف ١٦٢، مقاييس اللغة (خطب) ١٩٨/٢، واساس البلاغة (خطب) ١٦٧، ومجمع البحرين ٥١/٢، ودستور العلماء ٨٧/٢، والمعجم الوسيط ٢٤٢/١، ومعجم المعاني (خطب) ١٤٧.
٢٦) ص ٢٣.
٢٧)ينظر: معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ٤٧.
٢٨) ينظر: معجم مصطلحات اصول الفقه ٣٢.
(٢٩) ينظر. بصائر ذوي التمييز ٥٥٠/٢ .
٣٠)ينظر: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (خطب) ٢٣٥.
٣١) الكليات ٦٨٧.
(٣٢) هود /٣٧ ، وينظر: المؤمنون /٢٧ ، الفرقان /٦٣ .
(٣٣) ينظر. الكشاف ٢٦٨/٢ .
(٣٤) ص/٢٠ ، وينظر. ص /٢٣ ، النبأ /٣٧ .
٣٥) ينظر: غريب القرآن للسجستاني ١٥٢.

وتذكر المصادر ان معنى الخطب (بفتح الفاء وسكون العين) الامر والشأن الذي يتكلم فيه الفرد (٣٦). نحو قوله تعالى **[قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ]** (٣٧) أي (ما شانك وما دعاك الى ما صنعت، واصل الخطب الجليل من الامر) (٣٨).

والخطبة: بضم الخاء عبارة عن كلام منثور نثرأ ادبيا مؤثرا (٣٩). يلقيه شخص يسمى خطيبا (٤٠). وهذا الخطيب يبدأ كلامه عادة بمقدمات تتضمن بسملة، وحمدا وشكرا، للخالق الباري، تم الصلاة والتسليم على النبي الامين. ثم يبدأ غرضه من الخطبة(٤١).

وهذه المقدمات يمكن ان اسميها بمفاتيح بدأ الخطبة لما لها من اثر على نفس السامع. لشعوره بالاطمئنان، والخشوع لذكر خالقه عز وجل. ورسوله الكريم الامين صلى الله عليه وسلم ومن ثم توجه سمع السامع لاستماع الخطبة، والخطبة تختص عادة بالنصح والارشاد(٤٢). ويقال: من الخطبة: (خاطب وخطيب) (٤٣) ،ويبدو ان الخاطب هو الشخص الذي يلقي الكلام على فرد، او مجموعة افراد. وقد يكون لمرة او مرتين.

اما الخطيب فهو صيغة مبالغة على زنة فعيل. معناه الشخص الذي يخطب كثيرا بالناس.

وللخطيب صفات لابد من توافرها فيه، وهي:-

١- امتلاكه الصوت الجهوري.

٢- ان يكون قادرا على التأثير في نفوس المستمعين .

وتذكر بعض المصادر أن الخطب على انواع منها (٤٤):-

١- التي تختص بالأمور السياسية فتسمى خطبة سياسية .

٢- التي تختص بأمور الناس ومشاكلهم. فتسمى خطبة اجتماعية

٣- التي تختص بالأمور والمسائل الشرعية، والفقهية فتسمى خطبة دينية. مثل خطبة الجمعة والعيدين ... الخ .

---

٣٦)ينظر: غريب القرآني للسجستاني ٨٤، ومفردات الراغب ٢٨٦، ومجمع البحرين ٥١/٢.
٣٧)طه ٩٥.
٣٨) التبيان في تفسير القرآن ٢٠٢/٧، وينظر: الميزان في تفسير القرآن ٢٠٩/١٤.
٣٩) ينظر: دستور العلماء (خطب) ٨٧/٢، والمعجم الفلسفي(خطب) د. جميل صليبا ٥٣٢/١.
٤٠) ينظر: كساف اصطلاحات الفنون (خطب) ١٨٧/٢، والمعجم الفلسفي (خطب) د. جميل صليبا ٥٣٢/١.
٤١) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون (خطب) ١٨٧/٢، ودستور العلماء(خطب) ٨٦/٢، والمعجم الفلسفي (خطب) د. جميل صليبا ٥٣٢/١.
٤٢) ينظر: مفردات الراغب ٢٨٦، ومجمع البحرين ٥١/٢.
٤٣) مفردات الراغب: ٢٨٦.
٤٤) ينظر: معجم المعاني (خطب) ١٤٧.

الخطبة بالكسر : معناها تقدم الرجل لطلب الزواج من امرأة، ويسمى المتقدم خاطبا (٤٥). على زنة فاعل يدل على من يقوم بحدث الخطوبة ومنه قوله تعالى: [**وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ**](٤٦). فالخطبة في الاية الكريمة تعني : (الذكر الذي يستدعي به الى عقد النكاح) (٤٧).

وخطب: كلمة يقولها الرجل اذ التزويج، ونكح تقولها المرأة اذا رضت به فيتم عقد الزواج (٤٨).

فالخطب: كلمة يطلب الرجل بواسطتها الزواج، ونكح الرد عليها. فهاتان اللفظتان تؤديان الى عقد القران بينهما أي عقد الزواج.

فالخطبة بالكسر تتطلب من الشخص التوجه بالكلام اذ هي احد الالفاظ الدالة على الكلام.

والخطاب يتضمن اربعة عناصر هي:

المخاطب: وهو الملقي وهو الشخص الذي يقوم باصدار الكلام(٤٩).

المخاطب: وهو المتلقي . وهو الذي يتلقى الكلام من المخاطب ويقوم بتفكيكه أي يفهم معانيه(٥٠).

الخطاب: هو الكلام الموجه من المخاطب الى المخاطب(٥١).

المساق: ويراعى فيه الزمان، والمكان، وظروف المخاطب فعلى المخاطب عند كلامه ان يراعي المستوى الثقافي وشخصية المتلقي وعمره(٥٢).

المطلب الرابع : القول

قال يقول قولا ومقالا: أي تكلم كلاما خارجا من اللسان (٥٣)كما في قوله تعالى: **[قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ]** (٥٤)، والقول في الاصطلاح: هو الكلام ويراد به مجموعة من المعاني تخالج النفس الانسانية ويعبر عنها بمجموعة من الالفاظ (٥٥)، كما في قوله تعالى: [إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ

٤٥) ينظر: مفردات الراغب ٢٨٦، ومعجم البحرين ٥١/٢، والكليات ٤٣٣.
٤٦) البقرة ٢٣٥.
٤٧)التبيان في تفسير القرآن ٢٦٥/٢، والمنتخب في تفسير القرآن ٨٥/١.
٤٨) ينظر: شمس العلوم (خطب) ٥٣/٢، ومتن اللغة (خطب) ٢٦٩/٢.
٤٩) ينظر: وصف اللغة دلاليا ١٣٠.
٥٠)ينظر: المصدر نفسه ١٣٣.
٥١)ينظر: المصدر نفسه ١٣٥.
٥٢)ينظر: المصدر نفسه ١٣٧، والنص القرآني ١٧.
٥٣)ينظر: تهذيب اللغة (قول) ٣٠٢/٩، ولسان العرب(قول) ٥٧٢/١١، ومجمع البحرين ٣٧٥/٢، والقاموس المحيط (قول)٤٢/٤، ومعجم الالفاظ والاعلام القرآنية (قول) ٤٣٩.
٥٤) الزمر: ٥٠.
٥٥) ينظر: معجم الفاظ القرآن الكريم (قول) ٤٢٩/٢، والفاظ الحياة الثقافية ٣٢٥ .

مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] (٥٦)،فالقول مرادف للكلام على رأي بعض علماء العربية اما بعضهم فقد فرق بين القول والكلام من هؤلاء:

* الفارابي (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ) فالقول عنده: (مركب من الفاظ، والنطق والتكلم هو استعمال تلك الالفاظ، والاقاويل واضهارها باللسان والتصويت بها ملتمسا الدلالة بها على ما في ضميره) (٥٧).

يتبين ان القول مختلف عن الكلام ذلك ان القول يتكون من مجموعة الفاظ قد تكون داخل النفس الانسانية.

اما الكلام: فهو اخراج هذه الالفاظ بصوت بوساطة عضو الكلام: اللسان.

* ابن منطور (المتوفى سنة ٧١١هـ) يذكر ان (الكلام: ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة، والقول : ما لم يكن مكتفيا بنفسه وهو جزء من الجملة) (٥٨).

فالكلام يطلق على الشيء التام المفيد. وهذا الشيء الجملة، اما القول: فانه قد يطلق على الشيء الناقص غير التام.

اذن للكلام دلالة اوسع من القول. فالقول بمثابة التهيؤ للكلام. اذ يبدأ الكلام بالجزء وهو القول ثم يكمل، وينضج، ويكون لنا الجملة التي نطلق عليها الكلام، وهو عامة النطق(٥٩) ، ويستعمل في الخير والشر(٦٠). وعلى هذا كان استعماله في القرآن الكريم، فقد جاء (٩٧مرة) ، كان في (٥٧ مرة) منها في سياق الخير ، ومن ذلك التعبير عن القرآن الكريم بالقول ، كما في قوله تعالى : **(فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ + وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ + إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ + وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ)** (٦١) ويبدو انه سماه قولا لاحتمال هذا اللفظ الدلالة على اللين والسلاسة والحسن ، ومن ثم ولوج القلب والتأثير .

وهذه الدلالة الشارية غير بعيد عن التلازم بين القول والوصف بـ (المعروف(٦٢)و السديد(٦٣) و الكريم(٦٤)، والميسور (٦٥))، فإن هذا التلازم الدلالي يرشح ما قيل من حسن

٥٦) ال عمران : ٣٥.
٥٧) كتاب الحروف : ١٦٣.
٥٨) لسان العرب(قول) ٥٢٢/١٢.
(٥٩) ينظر . المقاييس (قول) ٤٢/٥ .
(٦٠) ينظر. اللسان (قول) ٥٧٣/١١ .
(٦١) الحاقة/٣٨ – ٤١ ، وينظر: الزمر /١٨ ، فصلت / ٣٣ ، المزمل /٥ ، الحاقة /٤٢ ، المدثر /٢٥ ، التكوير /١٩ ، ٢٥ ، الطارق / ١٣ .
(٦٢) جاء ذلك (٥مرات) / ينظر: البقرة /٢٣٥ ، النساء /٥ ، ٨ ، الأحزاب ٣٢ ، محمد /٢١ .
(٦٣) جاء ذلك مرتين / ينظر . النساء / ٩ ، الأحزاب /٧٠ .
(٦٤) جاء ذلك مرة واحدة / ينظر. الإسراء / ٢٣ .
(٦٥) جاء مرة واحدة / ينظر. الإسراء /٢٨ .

ولين ،ومنه قوله تعالى : **(ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)** (٦٦). وسماه قولا تنبيها على انه خلق بقوله تعالى : ((كن فيكون))(٦٧)، وجاء في سياق الكلام على البعث ، وذلك في قوله تعالى : **(إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ)**(٦٨) إشارة إلى الخفاء والجهل ، فيؤكد الدلالة على اللين ، ومنه قوله تعالى : **(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ)** (٦٩)، أما في سياق الشر ، فقد استعمل (٤٠مرة) ، منها قوله تعالى : **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)** (٧٠). وقوله تعالى : **(لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)**(٧١). بمعنى ((علم الله تعالى بهم وكلمته عليهم))(٧٢) وعذابه إياهم ،والذي يمكن ان يلحظ على استعمال القول في السياق القرآني ، ويؤشر كدلالة مضافة هو السرية (٧٣) التي تخيم عليه ، والاعتمال الفكري الذي يثيره فإن القرآن / القول مصحوب بعمل ونشاط واعتقاد وإيمان بالغيب ، وهذه سريته ، أما خلق عيسى فإن سريته تتمثل في كونه تم بخرق لعادة الخلق ومعجزة فيه ، أما القول في سياق البعث فيوحي بجهل وخوف واضطراب تتمثل به السرية . والكذب إخفاء وستر ، فكأن القول (كلام) مسرور ، أو شعور قلبي لين وعزم . يقول تعالى خطابا لموسى وهارون: **(اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى + فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)** [٧٤] فهذا القول ((سيكون كلاما أمام فرعون ولكن قبل ذلك يجب تهيئة قول لين ؛ لأنه لو قال (كلاما لينا) لأجاز لهما ان يكون لسانهما لينا بخلاف ما في قلبهما ، فأراد سبحانه ان يكون اللين صادرا من قلبيهما وهو منتهى الحكمة والعدل والمعروف، لأنه سبحانه لا يأمر بخلاف ما في نفسه فكذلك على أنبيائه الاقتداء به))[٧٥] فكأن القول رأي وفكر وعقيدة تسبق المرحلة الكلامية وتؤدي إليها ، وهذه الإشارات الدلالية تستفاد من قوله تعالى أيضا : **(يَوْمَئِذٍ لاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَانُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً)** [٧٦]. فلا يكون الرضا عن كلامه ذا بال مالم يرض سبحانه عن قوله الصادر عن قلبه [٧٧] وعزيمته المؤمنة وعقيدته الخالصة .

(٦٦) مريم /٣٤ .
(٦٧) ينظر. المفردات (قول) ٤٣١ .
(٦٨) الذاريات /٨ .
(٦٩) الحج /٢٤ .
(٧٠) الأعراف /١٦٢.
(٧١) يس/٧ .
(٧٢) المفردات (قول) ٤٣١ .
(٧٣) ينظر. النظام القرآني ـ مقدمة في المنهج اللفظي / عالم سبيط النيلي ٦٤ ــ٦٥ .
(٧٤) طه /٤٣ ــ٤٤ .
(٧٥) النظام القرآني-مقدمة في المنهج اللفظي ٦٦ .
(٧٦) الزمر / ٦٠ .
(٧٧) ينظر .النظام القرآني- مقدمة في المنهج اللفظي ٦٦ .

المبحث الخامس : الكلام

كلم: الكاف واللام والميم. حروف تدل على معنيين : الاول: الجرح [٧٨]. فيقال: رجل كليم ومكلوم : أي جريح ومجروح [٧٩] ،والاخر: هو المعاني القائمة في اغوار النفس الانسانية يعبر عنها بمجموعة من الالفاظ. وهذه الالفاظ هي اصوات تحمل معاني مفيدة. نحو قوله تعالى:**[وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ] (٨٠).**

ويشترط الكلام عناصر هي:

1- المتكلم (الملقي) .

2- الخطاب (مادة الكلام) .

3- السامع (المتلقي) [٨١].

نحو قوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ] [٨٢].

فالمتكلم الله والسامع البشر فالله تعالى يكلم عباده لإبلاغهم رسالة، وقد يكون المتكلم بشرا كما في قوله تعالى: [فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً] [٨٣]. فالمتكلم مريم عليها السلام والسامع البشر ، وقوله تعالى: [فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً][٨٤]. فالبشر هم المتكلمون والسامع مريم عليها السلام .

ووضع الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ) شروطا ينبغي على المتكلم مراعاتها هي: (ان يعرف اقدار المعاني، ويوازن بينهما وبين اقدار المستمعين، وبين اقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني، ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات[٨٥]،نفهم من نص الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ): ان على المتكلم مراعاة معاني المفردات بحيث تناسب مستوى المتلقي الثقافي وشخصيته وعمره، والكلام يتطلب من الشخص التفوه بصوت مسموع

٧٨) ينظر: تهذيب اللغة (كلم) ٢٦٥/١٠، ومقاييس اللغة (كلم) ١٣١/٥، ومفردات الراغب ٧٢٢، وبصائر ذوي التميز ٨٢/١، ومجمع البحرين ١٥٧/٦، ودستور العلماء (كلم) ١٢٩/٣، والعقل الفلسفي في الاسلام ٥٨، وكلام العرب ٤٦، ومعجم الالفاظ والاعلام القرآنية (كلم) ٤٦٠.

٧٩)ينظر: القاموس المحيط(كلم) ١٧٢/٤، والمعجم الوسيط (كلم) ٨٠/٢

٨٠) النور ١٦.

٨١) ينظر: بدائع الفوائد ١٧٦/١، والقرآن وعلم القراءة ٢١، وبنية العقل العربي ١٠٨، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ٩٩.

٨٢) الشورى ٥١.

٨٣) مريم ٢٦.

٨٤) مريم: ٢٩.

٨٥) البيان والتبيين : ١٣٨/١ وما بعدها.

يسمعه المتلقي[٨٦]. كما في قوله تعالى: **[إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ]** [٨٧]، وهناك نوع اخر من الكلام يكون داخل نفس الانسان . حيث يتكلم الانسان مع شخصه أي مع نفسه كلاما داخليا *. كما في قوله تعالى: **[يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ]** [٨٨]، والكلام له معنى مختلف عن اللغة. وان اول من التفت الى هذه الظاهرة العالم السويسري فريديا نددي سوسير فيذكر ان الكلام تستعمل فيه بعض مظاهر اللغة من اجل التواصل الانساني. فالكلام اذن عمل فردي يقوم به الفرد من اجل توصيله الى نشاط تزاوله الجماعة، نشاط اجتماعي. وهذه اللغة تتكون من مجموعة من الاشارات تطلق للتعبير عنها[٨٩]، وقد سار على نهج سوسور مجموعة من علماء اللغة، وقد ذكروا فروقا بين اللغة والكلام. نذكر منها :

* اللغة نظام اجتماعي يزاوله ابناء المجتمع الواحد. اما الكلام: فهو فردي يزاوله الفرد.

* اللغة تتكون من مجموعة من الاشارات والرموز الذهنية . والكلام : تعبير عن هذه الرموز والاشارات بصوت مرتفع.

* اللغة ليست كالكلام فهي متطورة لكنه تطور نسبي يسير ببطء. اما الكلام: فانه عرضة للتغير والتبديل بحسب ثقافة الشخص.

* اللغة يشترك فيها جميع ابناء المجتمع الواحد. اما الكلام فانه مختلف بين شخص واخر فلكل شخص طريقة في الكلام.

* اللغة مجموعة من الانظمة اوجدها ابناء المجتمع. اما الكلام فهو نشاط يتطلب حركة الاعضاء لاجل اصدار الاصوات[٩٠].

والكلمة مشتقة من الكلام. وهي اصغر وحدة ذات دلالة في كلام الانسان ولغته[٩١].

وجمع الكلمة كلم نحو قوله تعالى: [مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا] [٩٢].

---

٨٦)ينظر: العقل الفلسفي في الاسلام : ٥/١.
٨٧)ال عمران ٤٥-٤٦.
٨٨)هود ١٠٥.
٨٩) ينظر: علم اللغة العام ٣٢ وما بعدها، واسس علم اللغة ١١٥، ودراسات لغوية تطبيقية ٩، والالسية ٧٠ وما بعدها، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ٢٧.
٩٠) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٢٢ وما يبعدها ، ومدخل الى علم اللغة ١١١، ومناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة ٥٣-٥٦
٩١) ينظر: دور الكلمة في اللغة ٣٨، وعلم اللغة بين التراث والمعاصرة ١٤٦.
٩٢) النساء ٤٦.

وكلمات نحو: **[فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]** [٩٣]، والكلمة وسيلة من وسائل استمرار الحياة فبغيرها لا يستطيع الانسان التفاهم مع غيره.

والكلمات القرآنية لها من الميزات ما يجعلها تختلف عن سائر الكلمات. فكل كلمة نظمت في القرآن الكريم لها رونق وبها ء ويجعلها مميزة ان استعملت في غير كتاب الله تعالى. وهذا سر من اسرار الاعجاز الرباني كما في قوله تعالى: **[قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً]** [٩٤].

والكلمة تتكون من جوانب معقدة فهي تتطلب توجه حاسة السمع لسماعها، وتوجه حاسة البصر لقراءتها، وتوجه اعضاء النطق لإصدار الصوت عند النطق بها، وتوجه الجنان لاجل التفكير بما يقال من الكلمات [٩٥].

المطلب السادس : اللسان

اللسان اهم عضو من اعضاء الجهاز الصوتي يقوم بوظائف مختلفة ، منها: التذوق ، والبلع ، وحدوث الاصوات[٩٦] .ويسمى " جارحة الكلام[٩٧] " وكما في قوله تعالى : **[وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي]** [٩٨] " وقوله تعالى : **[وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي]**[٩٩] .

واللسان من الألفاظ التي تذكر وتؤنث فان ذكرت جمعت على زنة افعلة ، نحو السنة كما في قوله تعالى : [أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً](١٠٠) وان انثت جمعت على زنة افعل نحو السن[١٠١] .

وقد قسم العلماء الاصوات اللسان على اقسام هي :

أقصى اللسان ، او مؤخرته back of the tongueوهو الجزء المقابل للحنك اللين او ما يسمى بأقصى الحنك .

---

٩٣) البقرة ٣٧.
٩٤) الكهف ١٠٩.
٩٥) ينظر: اللغة وعلم النفس ١١١.
٩٦) ينظر معجم الفاظ القران الكريم (لسن) ٥٧٠/٢ ، ومعجم الالفاظ والاعلام القرانية (لسن) ٤٧٣ ، واسس علم اللغة ٣٨ ، وكلام العرب ٤٦.
٩٧) الصحاح (لسن) ٢١٩٥/٦ ، ومفردات الراغب ٧٤٠ ، ولسان العرب(لسن) ٣٨٥/١٣ ، ومجمع البحرين ٣٠٨/٦ والفاظ الحياة الثقافية ٣١٩.
٩٨) طه ٢٧ .
٩٩) الشعراء ١٣ .
١٠٠) الاحزاب ١٩ .
١٠١) ينظر : تهذيب اللغة (لسن) ٤٢٧/١٢ ، وأعراب القران للنحاس ٢٣٠/٥ ، والكليات ٧٩٨ ، واللسان والانسان ١٣١ .

وسطه ، او مقدمته front of the tongue وهو الجزء الذي يقابل الحنك الصلب ، او ما يسمى بوسط الحنك.

طرف اللسان blade of the tongue وهو الجزء الذي يقابل اللثة .

وهنـاك اجزاء اخرى للسان هـي : نهـايته وذلقه top [or point] of the to "[١٠٢] هذه الاقسام بواسطتها يصدر الصوت . وان أي خلل في هذه الاقسام يؤدي الى خلل في الكلام ، وحدوث الاصوات . كما في قوله تعالى : **[وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي]** [١٠٣] " . فلسان موسى عليه السلام – فيه خلل يمنعه من الافصاح بالكلام بصورة سليمة

وردت هذه الفظة في القران الكريم في خمسة وعشرين موضعا[١٠٤] . بدلالات مختلفة تختلف باختلاف السياق القراني نذكر منها.

١- عضو الكلام[١٠٥] كما في قوله تعالى : [يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ] [١٠٦] ، وقوله تعالى : [أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ] [١٠٧] .

فاللسان في الآيتين الكريمتين عضو من اعضاء الكلام يساعد الانسان عن الافصاح عما في نفسه . والذي دلنا على معنى (اللسان) في الآية الكريمة الاولى القرينة اللفظية "يقولون" فالقول يكون بوساطة اللسان اذن اللسان عضو من اعضاء الكلام اما في الآية الثانية فسياقها هو الذي دلنا على معنى اللسان حيث ذكر العينين والشفتين ، وذكر اللسان في وسطهما فالعين عضو والشفة عضو فاللسان لا بد ان يكون من الاعضاء فكل من العينين ، واللسان ، والشفتين مما وهب الرحمن للعباد.

٢- الذكر الجميل[١٠٨] كما في قوله تعالى: [وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً] [١٠٩] . وقوله تعالى : [وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ] [١١٠] لسان الصدق يعني الذكر الحسن وبوساطة القرينة اللفظية عرفنا اللسان اذ الصدق لا يوصف الا بالذكر والكلام .

---

١٠٢) علم اللغة العام . الاصوات ٨٧ ، وينظر علم الاصوات العام ٦٩ وما بعدها ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٣٨ وما بعدها

١٠٣) طه ٢٧ .

١٠٤) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم (لسن) ٦٤٧.

١٠٥) ينظر الصحاح (لسن) ٢١٩٥/٦ ، وقاموس القران ٤١٥ ، ومنتخب قرة عيون النواظر في الوجوه والنظائر ٢١٠ ، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ٤١٢/٦.

١٠٦) الفتح ١١ .

١٠٧) البلد ٩ .

١٠٨) ينظر : غريب القران للسجستاني ١٧٠ ، وتاويل مشكلة القران ١٤٦

١٠٩) مريم ٥٠ .

١١٠) الشعراء ٨٤ .

٣- اللغة التي يتكلم بها الشخص، او القوم[١١١] . كما في قوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][١١٢] ،وقوله تعالى : [لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ][١١٣] ،قال بعضهم : ان اللسان مرادف للغة[١١٤] ،وبعضهم قال : ورودها بمعنى المجاز[١١٥] .

ولكثرة القول بان اللسان يعني اللغة اصبح عند العرب من المترادفات فاللسان واللغة معناها واحد عند العلماء القدامى . اما لدى العلماء المحدثين فمعناهما مختلف فقد ذكروا عدداً من وجوه الاختلاف نذكر منها :

(اللغة جزء محدد من اللسان مع انه جزء جوهري لاشك اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان . ومجموعة من التقاليد الضرورية التي بناها مجتمع ما ليساعد افراده على ممارسة هذه الملكة ، وعلى العموم اللسان متعدد الجوانب ، غير متجانس يمثل عدة جوانب في ان واحد – كالجانب الفيزياوي (الطبيعي) ، والجانب الفسلجي (الوظيفي) ، والجانب السايكلوجي (النفسي) . واللسان ملك للفرد والمجتمع لا يمكن ان نصنفه الى أي صنف من اصنفاف الحقائق البشرية ، لاننا لا نستطيع ان نكشف عن وحدته . اما اللغة ، فعلى النقيض من ذلك ، لها كيان موحد قائم بذاته فهي تخضع للتصنيف ، وتحتل المركز الاول بين عناصر اللسان، وهذا التصنيف يضفي نظاما طبيعيا على كتلة غير متجانسة (اللسان) لايمكن ان يخضع لاي تصنيف اخر[١١٦] .

يتبين ان اللغة جزء من اللسان لانه مسؤول عن اصدارها فاللسان يمثل الجانب الاجتماعي لان اللغة ملك المجتمع .

وللسان جوانب عديدة يدرس في ضوئها منها :

1- الجانب الفيزياوي (الطبيعي)

2- الجانب الفسلجي (الوظيفي)

3- الجانب السايكلوجي (النفسي)

١١١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٤٨٥ ، والزينة ١/ ٧١ ، وجامع البيان ١٣ /١٨١ ، وتهذيب اللغة (لسن) ١٢/ ٤٢٧ ، والصحاح (لسن) ٢١٩٥/٦ ،

١١٢) ابراهيم ٤ .

١١٣) النمل ١٠٣ .

١١٤) ينظر معجم المعاني ٣١ .

١١٥) ينظر : الايضاح ١٥٧ .

١١٦) علم اللغة العام فرينان دي سوسير ٢٧ وما بعدها ، وينظر : في علم اللغة العام ٣٧ وما بعدها وعلم اللغة د.حاتم صالح الضامن ٢٩ او بعدها، واللسانيات والدلالة لا الكلمة ،١٧٨ .

هذه الجوانب تشرح لنا هيكل تكوين السان حيث يتكون من مجموعة من العضلات تساعده على التحرك إلى الجوانب المختلفة . وهذه الحركة تسهم في حدوث الاصوات، ومن ثم الكلام. وكذلك له وظيفة التذوق ٠

اذن اللسان عنصر مهم من عناصر النطق . اما اللغة فعن طريقها يمكن للانسان ان يعبر عما يختلج في نفسه .

٤- (الدعاء) (١١٧) " كما في قوله تعالى : [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ] (١١٨) .

السان هنا يعني الدعاء فداود وعيسى عليهما السلام . قد دعيا على الذين كفروا من بني اسرائيل .

المطلب السابع :اللفظ

لفظ الشيء يلفظه لفظا(١١٩) ، اذ رماه(١٢٠) . ويطلق اللفظ على اخراج الشيء من الفم(١٢١) ،وقد وردت هذه اللفظة في القران الكريم في موضع واحد . كما في قوله تعالى : **[مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]**(١٢٢) ،لكن ورودها في القران الكريم كان ورودا مجازيا حيث انصرف في استعماله اللفظ من معناه الذي وضع له الى معنى اخر(١٢٣) ،فهذه اللفظة قد دلت في القران الكريم على اخراج الكلام من الفم أي التكلم(١٢٤) واللفظ اصطلاحا هو : " ما يلتفظ به الانسان ، او في حكمه ، مهملا كان، او مستعملا(١٢٥) ،فالالفاظ ترادف الكلام أي ان معناهما واحد . الا ان هنالك فرقا واحدا بينهما وهو : اضافة الكلام الى الله فنقول : كلام الله ، ولايمكن اضافة اللفظ اليه . فلا نقول : لفظ الله . لان اللفظ يشترط فيه حدوث الاصوات والمقاطع والمخارج(١٢٦) . فاللفظ يتطلب وجود الة النطق ينطق بها . وهذا ما وهبه الله سبحانه وتعالى

١١٧) قاموس القران ٤١٥ .
١١٨) المائدة ٧٨ .
١١٩) ينظر : مجمع البحرين ٢٩١/٤ .
١٢٠) ينظر : مقاييس اللغة(لفظ) ٢٥٩/٥ ، والكليات ٧٩٥ ، ودستور العلماء(لفظ) ٣/ ١٧٤ ، معجم المعاني ٣١١ ، المعجم الفلسفي (لفظ) د. جميل صليبا ٢٨٨/٢ .
١٢١ينظر: مقاييس اللغة (لفظ) ٢٥٩/٥ ، واساس البلاغة (لفظ) ٥٦٨ ، وكلام العرب ٥٣ .
١٢٢) ق ١٨ .
١٢٣) ينظر الايضاح ١٨٢ ، ومفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول ٥٥ وما بعدها، والبلاغة وسائلها وغايتها في التصوير البياني ١٦٦ ، ومجاز القران ٦٩ ومعجم مصطلحات اصول الفقه ٦٠ .
١٢٤) ينظر : التبيان في تفسير القران ٣٦٤/٩ ،اساس البلاغة (لفظ) ٥٦٨ ، والقاموس المحيط(لفظ) ٣٩٩/٢، ومجمع البحرين ٣٩٠/٤ ، وتاج العروس (لفظ) ٢٦٣/٥ والميزان في تفسير القران ٣٧٨/١٨ .
١٢٥) التعريفات ١٠٨ ، معجم مصطلحات أصول الفقه ٥٧ ، وينظر : دستور العلماء ١٧٤/٣.
١٢٦) ينظر : المقصد الأسنى ١٩ ، والكليات ٧٩٥ والمعجم الفسلفي د.جميل صليبا (لفظ) ٢٩٠/٢ .

لعباده فكيف يكون له اله ، وهو الوهاب الرزاق فلذلك لا يوصف سبحانه بانه لافظ للكلام بل هو متكلم لا يلفظ . والدليل على كلامه قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما ... "[١٢٧] .

فالباري عز وجل اكد صفة الكلام من خلال تكليمه لموسى -عليه السلام- ولم يذكر بانه قد لفظ والدليل على ذلك قوله تعالى : **[مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]** [١٢٨] . فهو يراقب ويسمع ما يلفظه الناس من القول . فيكون القول للانسان .

ويبدو ان الالفاظ عناصرها المهمة من عناصر الكلام الانساني ، لكن الكلام يختلف عن الالفاظ ، فالكلام قد يكون مراده واضحا . اما اللفظ فلا يوضح لنا في بعض الاحيان . فقد يحمل لنا معنى غير معناه الذي وضع له ، او قد يحمل عدة معان فيسمى بالألفاظ المشتركة،والالفاظ بواسطتها يعبر الانسان عما يخالج نفسه من افكاره[١٢٩] . يقول الدكتور مازن المبارك : (ان اللفظ من لغتنا ليس مجرد نبرة من صوت ، وانما هو قطعة من فكر الامة ، ونبضة من قلبها ، بل هو شحنة غنية فيه من كل عصر عاشه ، اوعاشته امتنا اثر من تاريخ وقبس من فكر ، وطاقة من وجدان ان الالفاظ العربية اليوم ليست مجرد قوالب جافة الافكار ، وانما هي الصور الناطقة لتلك الافكار ..)[١٣٠] .

يتبين ان الألفاظ جزء لا يتجزأ من حضارة العرب وتاريخهم فهو ناطق عن افكار الامة ، يعبر عن كل عصر من العصور . فالألفاظ متطورة بتطور العصور.

خلاصة القول : - ان دلالة اللفظ متطورة بتطور الزمان . فالبدء كانت تطلق على رمي الشيء ، ثم اصبحت تطلق على اخراج الشيء من الفم ، ثم انتقلت عن طريق المجاز لتدل على نطق الكلام.

المطلب الثامن :النطق

نطق الرجل ينطق نطقا ومنطقا ونطوقا : اخرج الكلام من الفم بصوت ومقاطع[١٣١] ،يقال : انطقه الباري عز وجل واستنطقه : أي تكلم معه[١٣٢] ، والناطق في الاصطلاح : هو الشيء الذي يستطيع التعبير عن افكاره بصوت مرتفع . وهذا لا ينطبق الا على الانسان[١٣٣] .

---

١٢٧) النساء ١٦٤ .
١٢٨) ق ١٨ .
١٢٩) ينظر البرهان الكاشف عن اعجاز القران ٨٠/٢وما بعدها ، واللغة بين العقل والمغامرة ٣١ .
١٣٠) نحو وعي لغوي ١٤١ .
١٣١) ينظر : الصحاح (نطق) ١٥٥٩/٤ ، ولسان العرب (نطق) ٣٥٤/١٠ ، والقاموس المحيط(نطق) ٢٨٥/٣ وتاج العروس (نطق) ٧٧/٧ ، ومعجم الالفاظ والاعلام القرانية ٥٣١ وما بعدها وكلام العرب ٤٦ .
١٣٢) ينظر : الصحاح (نطق) ١٥٥٩/٤ ، ولسان العرب(نطق) ٣٥٤/١٠ ، ومعجم الفاظ القران الكريم (نطق) ٧٢٧/٢.
١٣٣) ينظر : الصحاح (نطق) ١٥٥٩/٤ ، والمعجم الفلسفي د.جميل صليبا (نطق) ٤٥٧/٢.

فقوله تعالى:[قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ] (١٣٤) فالاصنام لا تنطق لانها جماد . فالذي ينطق هو الانسان والذي يساعده على النطق ادوات النطق . فقوله تعالى: [قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ] (١٣٥) .

والمنطوق هو مجموعة من الالفاظ يستخدمها الانسان للتعبير عما يخالج نفسه من افكار ومشاعر بصوت بسمعة الاشخاص(١٣٦) . كما في قوله تعالى : **[فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ]** (١٣٧) .

فالانسان يحاول النطق للتعبير عن افكاره ونقل ما تعلمه ، وابتكره من العلوم والفنون . فهذه العلوم والفنون محفوظة في النفس لا يستطيع احد رؤيتها ولا سماعها ، ولا معرفة ما تفكر به سوى الله تعالى وصاحبها.

وردت لفظـة نطق وما يشتق منها في القران الكريم في اثنى عشر موضعا(١٣٨) ،فقد وردت بصيغة المفرد في خمسة مواضع كما في قوله تعالى : **[وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ]** (١٣٩) . وقوله تعالى: **[وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ]** (١٤٠) ،وقوله تعالى :**[وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]**(١٤١) ،وقوله تعالى : **[هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ]** (١٤٢) ،وقوله تعالى : **[وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *]** (١٤٣) .

وردت بصيغة الجمع في مواضع . كما في قوله تعالى : [قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ] (١٤٤)وقوله تعالى : [ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ](١٤٥) .وقوله تعالى : [وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ] (١٤٦).

---

١٣٤) الانبياء ٦٣ .
١٣٥) فصلت ٢١ .
١٣٦) ينظر الاتقان في علوم القران ٨٩/٢ ، ومفهوم النص ١٧٩ .
١٣٧) الذاريات ٢٣ .
١٣٨) ينظر : المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم ٥٠٧.
١٣٩) المؤمنون ٦٢ .
١٤٠) النمل ١٦ .
١٤١) فصلت٢١ .
١٤٢) الجاثية ٢٩ .
١٤٣) النجم ١-٤.
١٤٤) الانبياء ٦٣ .
١٤٥) الانبياء ٦٥ .
١٤٦) النمل ٨٥ .

والنطق على انواع :

a- نطق فكري : يتم عن طريق كلام النفس مع ذاتها من خلال تفكيرها بما تقول وتفكيرها بالاشياء فهذا النوع مرتبط بالروح.

b- نطق لفظي : يتم عن طريق اللسان . يطرح الانسان بوساطته النوع الاول من النطق . وهذا النوع مرتبط بالجسم لانه يتم بوساطته الاعضاء .

اما النطق الفكري الذي هو امر روحاني معقول ، فهو تصور النفس معاني الاشياء في ذاتها ، ورؤيتها لرسوم المحسوسات في جوهرها وتميزها في فكرتها وبهذا النطق يحد الانسان ، فيقال : انه حيٌ ناطق ما ئت . فنطق الانسان وحياته من قبل النفس ، وموته من قبل الجسد ، لان اسم الانسان انما هو واقع على النفس والجسد جميعا) [١٤٧] .

المبحث الثاني

ملامح تطبيقية في النص القرآني

المطلب الاول :كلام الله لموسى (عليه السلام):

قال تعالى : **[وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً]** [١٤٨] كلام الله لموسى كلاماً حقيقياً ليس مجازاً . فلو كان مجازاً لما اتى بلفظة التكليم . والله سبحانه وتعالى لم يؤكد هذه الصفة لأحد من الانبياء . لأن تكليمهم قد تم عن طريق نوع من انواع الوحي . [١٤٩]

اما تكليمه تعالى لموسى – عليه السلام – فهو تكليم مختلف اختلف فيه العلماء والمفسرون . فمنهم من قال : انه كلمة مشافهة . ومنهم من قال : انه كلمه بالألسن كلها [١٥٠].(لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه ، قال له موسى : يا رب هذا كلامك الذي كلمتني به يوم ناديتني ؟ قال : يا موسى لا انما كلمتك بقوة عشرة الاف لسان ، ولي قوة الالسنة كلها ، وانا اقوى من ذلك ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا : يا موسى صف لنا كلام الرحمن قال : سبحان الله ، ومن يطيق ؟ قالوا : فشبه لنا . قال : الم تروا إلى اصوات الصواعق حين تقبل في احلى حلاوة سمعتموه فانه قريب منه وليس به) .[١٥١]

يتبين ان الله سبحانه وتعالى كلم عبده موسى اكثر من مرة ، وهذا يؤكد ان الله تعالى كلمه مباشرة دون وساطة بقوة الالسنة كلها .

---

١٤٧) رسائل اخوان الصفاء ٣٩١/١ وما بعدها .
١٤٨) النساء : ١٦٤ .
١٤٩) ينظر : معاني القرآن للأخفش الاوسط : ٢٤٨/١ ، وتأويل مشكل القرآن : ١١١ ، ومجمع البيان :١٤١/٣ .
١٥٠) ينظر : جامع البيان : ١٢٩/٦ .
١٥١) الاسماء والصفات ٣٤٨ وما بعدها .

وقوله تعالى : [وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ] (١٥٢)

فهذه الآية الكريمة تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى قد كلم عبده موسى – عليه السلام – بلا وساطه وقوله تعالى : [قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ] . (١٥٣)

هذه الآية الكريمة دليل اخر على اختيار الله سبحانه وتعالى عبده موسى عليه السلام من بين الناس لكلامه . (١٥٤) وقد كلم الله تعالى موسى عليه السلام وبعثه اليهم ليفند مزاعمهم وكفرهم واشراكهم والله اعلم .

المطلب الثاني :نداء الله لموسى – عليه السلام –

قال تعالى : [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً] (١٥٥).

نادى الله تعالى عبده موسى نداء من مكان قريب والدليل على ذلك كلمه نجياً .(١٥٦)

وقوله تعالى : [فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (١٥٧)

فهذه الاية تؤكد لنا نداء الباري عز وجل لعبده موسى عليه السلام .

يذكر الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس : (ان الشجرة التي نودي منها موسى – عليه السلام – عوسج ، وأنه نودي من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت من آس الجنة ، وانها كانت من العود الذي في وسط الورقة ، وكان طولها طول موسى – عليه السلام – قال : من العليق) (١٥٨)

فالله سبحانه وتعالى كلم عبده موسى – عليه السلام – من جانب الطور الايمن من شاطئ الوادي من الشجرة . اذن كلام الله لموسى كلام مخلوق غير قديم بل محدث.(١٥٩)

١٥٢) الأعراف ١٤٣ .
١٥٣) الاعراف ١٤٤ .
١٥٤) ينظر : جامع البيان ٥٦/٩ ، والكشاف ١١٦/٢ ، وروح المعاني ٥٦/٩ .
١٥٥) مريم ٥١ –٥٢ .
١٥٦) القصص ٣٠ .
١٥٧) ينظر الاختلاف في اللفظ ٣٤ .
١٥٨) البيان والتبيين ١٢٢/٣ .
١٥٩) ينظر : الفصل في الملل واهواء والنحل ٦٣/١ .

هذا الرأي راي المعتزلة اذ يرون ان الله عز وجل قد كلم موسى – عليه السلام – من محل وهذا المحل هو الشجرة.

اما الاشاعرة فانهم يرون ان الله عز وجل قد كلم موسى – عليه السلام – كلاما نفسياً لا يقع في محل.

المطلب الثالث :كلام السيد المسيح عليه السلام في المهد

قال تعالى : [إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٤٥} وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ] (١٦٠)

أي يكلم لناس طفلاً صغيراً في المهد كما يكلم البالغ الناس فكان كلامه معجزة برئ بها امه مريم عليها السلام بامر من الله . (١٦١)

وقد اختلف المفسرون في مدة كلامه فبعضهم قال تكلم مدة قصيرة تبلغ من الوقت ساعة واحدة ، ثم انقطع عن الكلام إلى حينه . وبعضهم قال : انه استمر في الكلام ولم ينقطع عنه . (١٦٢)

(وزعمت النصارى انه لم يتكلم في المهد ولم ينطق ببراءة امه صغيراً بل اقام ثلاثين سنة واليهود تقذف امه بيوسف النجار ...) (١٦٣) فكيف ينكر النصارى كلامه عليه السلام وقد ذكر الله في كتابه العزيز ..

المطلب الرابع :كلام الدابة

قال تعالى : [وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ] (١٦٤)

اختلف المفسرون في كلام الدابه * . فبعضهم قال : الكلام بمعنى الجرح . وبعضهم قال : انها بمعنى التكلم أي الكلام الخارج من الفم . (١٦٥)

ونحن نرجح القول الثاني فليس من الغريب ان يخرج الله تعالى إلى الذين لا يفهمون آيات الله تعالى معجزة من معجزاته الا وهي دابه تخرج من الارض تكلم الناس

---

١٦٠) آل عمران ٤٥ ، ٤٦ .
١٦١) ينظر : جامع البيان ٢٧١/٣ وما بعدها ، ومجمع البيان ٢٦٢/٣ ، وروح المعاني ١٦٣/٣ ، ٥٧/٧ .
١٦٢) ينظر : روح المعاني ١٦٣/٣ .
١٦٣) روح المعاني ١٦٣/٣ .
١٦٤) النّمل ٨٢ .
*) في وصف الدابه روايات كثيرة تراجع التفاسير : الكشاف ١٥٩/٣ او ما بعدها وروح المعاني ٢٠ / ٢٣ – ٢٥ .
١٦٥) ينظر : الخصائص ١٣/١ ، والكشاف ١٥٩/٣ او ما بعدها ، روح المعاني ٢٥/٢٠

المطلب الخامس :قول النملة

قال تعالى : [**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**] [١٦٦] قيل : (كانت معرفة النملة لسليمان عليه السلام على سبيل المعجزة الخارقة للعادة له – عليه السلام – على غيره لانه لا يمتنع ان تعرف البهيمة هذا الضرب كما تعرف كثيراً مما فيه نفعها وضرها ، فمن معرفة النملة انها تكسر الحبة بقطعتي لئلا تنبت الا الكزبرة فانها تكسر باربع قطع لأنها تنبت اذا كسرت بقطعتين فمن هداها هو الذي يهديها إلى ما يحطمها) [١٦٧] وقيل ان سليمان – عليه السلام - قد سمع صوتاً من بعد ثلاثة اميال .وبعضهم قال : ان سليمان – عليه السلام لم يسمع صوتها وانما فهم ما ارادت ان تخبر عنه النملة الهاما من الله سبحانه وتعالى . [١٦٨]

المطلب السادس:منطق الطير

الكلام يتصف به الانسان وبعض الانواع من الحيوانات مثل الطير . كما في قوله تعالى : [وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ] [١٦٩]

فعلم سليمان – عليه السلام – بمنطق الطير هو معجزة من المعجزات التي وهبها الله سبحانه وتعالى له . فكان يفهم ما يؤديه الطير من المعاني والأغراض[١٧٠]فبعض الحيوانات تنطق مثل الانسان بأصوات مركبة ذات مقاطع تخرجها من جهاز نطقها كالببغاء .[١٧١] فيفهمها الانسان ، وبعضها تخرج اصواتاً غير مفهومة لديه ، الا ان الله سبحانه وتعالى قد وهب معجزته إلى نبيه الكريم سليمان – عليه السلام – فعرف معنى وغرض هذه الاصوات .

الخاتمة

بعد هذا التجوال الممتع في رحاب القرآن الكريم، أفضى بنا البحث إلى جملة من النتائج، لعلَّ أهمَّها:

١- الفاظ المحادثة ظاهرة عامة في القرآن الكريم يلمسها كل منِ يتدبر آياته فهي ألفاظ ذات طابع دلالي مختلف فحيثما يتعرض القرآن لأي غرض من الأغراض فأنّهُ يستخدمها في التعبير، سواء أكان معنىً مجرداً، أم مدح أشخاص، أم فئات معينة، أم تبيان واقعة، أم قصة

١٦٦) النمل ١٨ .
١٦٧) التبيان في تفسير القرآن ٨٤/٨ ، والمنتخب من تفسير القرآن ١٦٥/٧ .
١٦٨) ينظر : الكشاف ١٤٢/٣ ، وروح المعاني ١٧٦/١٩ .
١٦٩) النمل ١٦ .
١٧٠) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١١٤ ، والزينة ٧٢/١ ، ومفردات الراغب٨١٢ ، والتبيان في تفسير القرآن ٨٢/٨ ، والكاشف ١٤٠/٣ ، ومجمع البيان ٢١٤/٧ ، والكليات ٧١١ ، وروح المعاني ١٧١/١٩ ، ونحو تفسير موضوعي لسور القرآن ٢٩٢ ، ومعجم ألفاظ القران الكريم ٧٢٧/٢ .
١٧١) ينظر : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ٢٥ ، والتفكير واللغة ٢٥١ .

فيها عبرة لأولي الألباب، أم مشهد من مشاهد القيامَة....الخ، وقد تميز القرآن الكريم بكثرةِ استعمالها وتوظيفها في داخل السياق.

٢- يمكن القول باطمئنان يحمل في طياته الأدلة الكافية إنَّ المفسرين كانوا على قدر كبير من الدقة في تناول الفاظ المحادثة، وعلى جانب أكبر من الأستيعاب، فقد كانت وقفاتهم هنا وهناك منبعاً أصيلاً استقى منه البحث كثيراً من صفحاته٠

٣- إن دراسة واعية مسؤولة لبعض النماذج التأويلية المعاصرة للنص القرآنيّ تدلل على أن الممارسة التأويلية عند بعض دعاة الحداثة محوجة إلى مراجعة نقدية أصيلة؛ لما فيها من الاضطراب المنهجي والتعدي على أصول العربية وضوابطها وقوانينها في استنطاق النص٠

٤- بين الكلام واللغة فرقاً اذ الكلام مختص بالانسان أما اللغة فيختص بها الانسان والحيوان وحركة النبات والكلام يتطلب اداة نطق ، أما اللغة فيمكن تأديتها دون الأعتماد على جهاز النطق كالاشارة باليد تعبيراً عن لغة التحية وغير ذلك . الكلام ظاهرة فردية ، اما اللغة فانها ظاهرة اجتماعية .

٥- اللسان بمعنى للغة عند العرب القدامى ذلك لان اللسان احد الاعضاء المهمة في اصدار الصوت او الكلام فبدونه لا يستطيع الفرد انتاج الكلام لذلك استعمل استعمالا مجازيا بمعنى اللغة .

٦- إنَّ مفهوم المحادثة ومصطلحاته لم يكن وليد عصرنا، فقد أَفاضَ القدامى في بيان مضمونه، وكان لكلِّ واحدٍ منهم اسلوبه في ابراز معنى المصطلح، وما ذكرهُ المحدثون من زيادات لا تخرج في جوهرها عما عالجه القدماء، وما اختلفوا فيه من تعريف بالمصطلح، فهو يشير في النهاية إلى مفهوم واحد هو التواصل بين بني البشر٠

٧- إنَّ القول بأنَّ الأصل اللغوي وحده يحدد المعنى غيرُ دقيق، وإنّ القول بأنّ ما حول النص وحده هو الذي يحدد دلالة الصيغة فيه نظر، والقول الراجح هو ما كشفت عنه الدراسة، وهو أنَّ دلالة الكلمة تتحدد بثلاثة عناصر:

-ا لأصل اللغوي .

- البناء الصرفي .

- السياق الذي وردت فيه .